

الحجّ .. نص وسُنّة وعمل



◀- ملابس الإحرام:

التجرّد من ملابسنا المعتادة حيث لا نستتر إلا بالرداء والإزار، متعرضين لتقلّبات الجوّ، والظهور بمظهر واحد يتساوى فيه الغنيّ الفقير، والملك والسوقة، والقوي والضعيف، والأسود والأبيض، فالكلّ متجه إلى الله في ضراعة يسأله التوبة والمغفرة، والجميع في سباق لبلوغ غاية واحدة هي الرضى من الله وقبول العمل.

هذا المشهد الموحّد يوحى بمعانٍ كريمة:

منها الشعور بالأخوة والمساواة "كلّكم لآدم وآدم من تراب".

ومنها تذكير الإنسان باليوم الآخر، يوم يبعث الله الخلائق في موقف متشابه فتطمئن النفوس وتنكسر حدتها وتستشعر بقيمتها الحقيقية التي تحفزها لفعل الخيرات..

ومنها تربية النفس وصقلها لتحمل المشاق وإعدادها للامتحان لأوامر الله تعالى والصبر على طاعته.

وهذا سيؤدّي بالتالي إلى ما يهدف إليه الإسلام من خلق مجتمع متماسك قوي، يسوده العدل والتآلف، وتتحقّق فيه السعادة والرخاء.

- سُنة الطواف:

عن كعب الأحبار قال: أنزل الله تعالى من السماء يا قوتة مجوفة مع آدم (ع)، فقال له: "يا آدم إنّ هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلي حوله كما يصلي حول عرشي".

ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة، ثمّ وضع البيت عليه، فكان آدم (ع) يطوف حوله كما يطاف حول العرش، ويصلي عنده كما يصلي عند العرش.

وجاء في رواية أخرى أنّه كان أوّل شيء عمله آدم (ع) حين أُهبط من السماء أن طاف بالبيت فلقيته الملائكة فقالوا: "بُردّ نسكك يا آدم فقد طفنا بهذا البيت قبلك بألفي عام".

وقد ورد في رواية أخرى أنّه لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن (ع) من بناء البيت الحرام جاءه جبريل (ع)، فقال: "طفّ به سبعا، فطاف به سبعا هو وإسماعيل، يستلمان الأركان كلّها في كلّ طواف، فلما أكمل سبعا صليّا خلف المقام ركعتين".

هذا وأنّ العرب منذ أقدم العصور، بل منذ أن أقام إبراهيم البيت كانوا يطوفون به ويعظمونه ويقدسونه، ويلوذون به كلّما حز بهم أمر. كما كانوا يعظّمون الحجر الأسود تعظيماً كاد يدفعهم إلى حرب عنيفة حين أرادوا وضعه في مكانه عندما جدّوا بناء الكعبة.

ونحن الآن نعظّم الحجر الأسود تعظيماً يجعلنا نبدأ طوافنا به، ونُقبّله إذا استطعنا تكريماً لنقطة البدء في عبادة الطواف.

وفي القرآن الكريم:

(ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَئُوا بِأَلْبَانِهِمْ (الحجّ / 29).

(وَطَئَهُمْ بِأَيْتِيهِ لِلطَّاغُوتَيْنِ وَالْفُتَيْنِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (الحجّ / 26).

السعي بين الصفا والمروة يسجّل ذكرى سعي هاجر وهولتها هنا وهناك باحثة عن الماء لولدها الطامد إسماعيل، إذ كانت تجري بين الصفا والمروة صاعدة على كلّ منهما لعلّها ترى مكان ماءٍ تسقي ولدها حتى كشف الله كربتها وأنس غربتها وفرّج شدتها وفجّر لها (زمزم).

فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذلّه وحاجته إليه في هداية قلبه، وصلاح نفسه، وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله عزّ وجلّ لتفريج ما به من الشدائد والنقائص والعيوب، وأن يهديه ويفرج عنه كما هدى هاجر وفرج عنها.

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ اللَّهَ وَرَجَّعَ الْأَيْدِيَّاتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَطَّوَّفَا بِهِمَا) (البقرة / 158).

- الوقوف بعرفة:

مضى إبراهيم (ع) في حجّه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلّمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة. فقال له جبريل (ع): "أعرفت مناسكك؟" قال إبراهيم (ع): "نعم. الآن عرفت عرفت". فسميت عرفات بذلك.

- الرمي:

لمّا قام جبريل يعلم إبراهيم المناسك كلّها. قيل فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثّل له إبليس عند جمرة العقبة. فقال له جبريل (ع): "ارمه"، فرماه إبراهيم (ع) بسبع حصيات فغاب عنه. ثمّ برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبريل: "ارمه". فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه إبليس. ثمّ برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل: "ارمه"، فرماه بسبع حصيات فغاب عنه إبليس.

- الهدى:

والذبح الذي نفعله أيّام الحجّ، إنّما هو تخليد للفداء الذي نجّى إسماعيل من الذبح:

(فَلَمَّا مَّا أَسْلَمْنَا وَتَلَّاهُ لِلْجَبْرَيْنِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِينَ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات / 103-107).

فنحن نذبح شكراً لنعمة الله على إبراهيم وإسماعيل وعلينا جميعاً، وإحياءً لذكرى هذه النعمة الجليلة. فمن إسماعيل الذي نجّاه الله وفداه، جاء النسل الكريم الذي توجّه نبينا عليه الصلاة والسلام، المبعوث رحمة للعالمين: ففي نجاة إسماعيل وفدائه، نجاة وفداء لخاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة ونجاة للجنس البشري كلّهُ الذي جاءه محمد بالهداية والنور، فعليه أن يشكر الله عليها، ويتقرّب إليه بما جعله فداء لإسماعيل، وهو إراقة الدماء لإطعام الفقراء والمساكين.

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ) (الحجّ / 30).

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحجّ / 32-33).

- الحجّ في القرآن الكريم:

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران / 96-97).

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ * وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ * لِيُسَّعَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ الْغَنَاءَ * وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهِكُمْ إِلَهِكُمْ تَحْشَرُونَ (البقرة / 197-203).

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوُّوْا فُؤَادًا بِالْبَيْتِ الْأَعْتَقِ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْطِ اللَّهُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ (الحج / 27-30).

(وَالَّذِي جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ رَبِّرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (البقرة / 125).

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوُّهُمَا بِهِمَا طَوْعًا وَبِغَيْرِهِمَا طَوْعًا خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْكُفْرِ شَاكِرٌ عَالِمٌ) (البقرة / 158).

(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِلُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ أَوْ صِيَامٌ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقُوا فَإِذَا أَتَيْتُمُ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (البقرة / 196).

(وَالْبُيُوتُ جَعَلْنَاهَا لَكَ حُرْمًا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا هَآهِنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنْتَهِى لُحُومُهَا وَلَا دِمَافُهَا وَلَآ كُنْ يَنْتَهِى التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج / 36-37).

- الحج في سنة الرسول (ص):

* عن الحسن بن علي (ع) قال: جاء رجل إلى النبي (ص)، فقال: إنني جبان وإنني ضعيف، فقال (ص): "هلمَّ إلى جهادٍ لا شوكه فيه: الحج".

* عن الصادق عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص) في حديث: "حجوا تستغنوا".

* عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص): "مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحْجَّ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا".

* عن عبادة بن مسعود أنه قال: قال رسول الله (ص): "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خَبثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا"

* عن علي بن الحسين (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): "مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلْيُؤْمِمْ هَذَا الْبَيْتَ".

* عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في وصيته للحسن والحسين (ع): "أوصيكما بتقوى الله". إلى أن قال: "والله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإن الله إن ترك لم تناظروا".

* ومن وصية له (ع) أيضاً: "لا تتركوا حج بيت ربكم فتهلكوا". وقال (ع): "مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ لِحَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا لَمْ تَقْصُرْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُحَلِّقِينَ".

* ومن خطبة له (ع) في نهج البلاغة: "وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُؤْلُوهَ الْحَمَامِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلَامَةً لَتَوَاضَعُ عَنْهُمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانُهُمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمًّا عَاقِبًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَتَشَدَّيْهِ هُؤُلَا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلَامًا وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)".

- ما ينبغي للحاج عملاًه قبل السفر إلى الحج؟

1- يكتب ما له من الديون وما عليه منها، حرماً على ضمان حقه وحق الآخرين.

2- يدوّن وصيته. ويستحب أن يوصي بجزء من ماله للفقراء والمساكين.

3- يبادر إلى التوبة، ويسارع إلى ردّ مظالم الناس، ويندم على ما بدر منه من تقصير في حق الله سبحانه وتعالى.

4- يختار أطيب ما له ليستعين به على مطالب الحج ونفقاته.

وقد ورد عن رسول الله (ص): "إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ، فَتَدَاوَى لِبَسِّكَ اللَّهُمَّ لِبَسِّكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لِبَسِّكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلَالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلَالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ، فَتَدَاوَى لِبَسِّكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَا لِبَسِّكَ وَلَا سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ".

5- يجب على الحاج أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله تعالى. لأنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. فإذا ذهب الحاج إلى مكة لبضاعة يشتريها أو لقب يتفاخر به فحسبه تعب جسمه، وضياح وقته، وذهاب ماله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا) * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (الإسراء / 19-18).

6- ويستحب إذا ركب الحاج دابته أو سيارته أو الباكسة أو الطائرة أن يُسمي باسم الله تعالى ويحمده ويكبره، ثم يقول: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرَرِينَ) *

وَإِنِّي نَسَا إِلَـلَى رَبِّ نَسَا لَمُنْقَلَابُونَ (الزخرف/ 13-14).

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِي هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى. اللَّهُمَّ هُوِّنْ عَلَيَّ سَفَرِي هَذَا وَاطْوِ عَنِّي بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَابِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ". ►

المصدر: كتاب الحجّ إلى بيت الله الحرام